بافعال العباد فرارا من تعلق القديم بالحادث وهم محجوجون بما قاله الشافعي رضي الله تعالى عنه
ان سلموا القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم ايجوز ان يقع في الوجود خلاف ما تضمنه العلم
فان منعوا وافقوا وان اجازوا لزمهم نسبة الجهل اليه تعالى عن ذلك انتهى وفي
الطبقات الكبرى للسبكي عن الربيع بن سليمان قال سئل الشافعي رضي الله عنه
عن القدر فانشأ يقول

۝ ما شئت كان وان لم اشأ ۝ وما شئت ان لم تشأ لم يكن ۝
۝ خلقت العباد على ما علمت ۝ ففي العلم يجري الفتى والمسن ۝
۝ على ذا مننت وهذا خذلت ۝ وهذا اعنت وذا لم تعن ۝
۝ فمنهم شقي ومنهم سعيد ۝ ومنهم قبيح ومنهم حسن ۝

قال الخطابي قد يحسب كثير من الناس ان معنى القضاء والقدر اجبار الله سبحانه
وتعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه وليس الامر كما يتوهمونه وانما معناه الاخبار
عن تقدم علم الله سبحانه وتعالى بما يكون من اكساب العباد وصدورها عن
تقدير منه وخلق لها خيرها وشرها قال والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر
يقال قدرت الشيء وقدرته بالتخفيف والتثقيل بمعنى واحد والقضاء في هذا معناه
الخلق كقوله تعالى فقضاهن سبع سموات في يومين اي خلقهن قال النووي
وقد تظاهرت الادلة القطعية من الكتاب والسنة واجماع الصحابة واهل الحل والعقد
من السلف والخلف على اثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد اكثر العلماء من التصنيف
فيه ومن احسن المصنفات فيه واكثرها فوائد كتاب الحافظ الفقيه ابي بكر البيهقي
رضي الله عنه وقد قرر ائمتنا من المتكلمين ذلك احسن تقرير بدلائلهم القطعية السمعية
والعقلية والله اعلم انتهى قلت وقد مر كل ذلك في مواضعه من هذا التعليق الثاني
لا يفهم من كلام الناظم الا ان من لم يؤمن بالقضاء والقدر ترك واجبا وهل هو بتركه ذلك الواجب يكفر
او لا ليس في كلامه تعرض له واعلم ايدك الله بالتوفيق والعناية ورزقك التسديد
والهداية انه لا خلاف في ذم القدرية فقد ورد في صحاح الاحاديث لعنة القدرية على
لسان سبعين نبيا واخرج ابو داود في سننه وابو عبد الله الحاكم في المستدرك على الصحيحين
وقال انه صحيح على شرط الشيخين قوله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس هذه الامة
وصح ايضا بما صرح به في شرح المقاصد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قامت القيامة
نادى مناد يا اهل الجمع اين خصماء الله فتقوم القدرية قال الخطابي انما جعلهم صلى الله عليه
وسلم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالاصلين النور والظلمة يزعمون
ان الخير من فعل النور والشر من فعل الظلمة فصاروا ثنوية وكذلك القدرية يضيفون
الخير الى الله عز وجل والشر الى غيره والله سبحانه خالق الخير والشر جميعا لا يكون شيء
منهما الا بمشيئته فهما مضافان اليه سبحانه وتعالى خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما من عباده

فعلا

فعلا واكتسابا انتهى وسيأتي في حديث مسلم ان ابن عمر قال للسائل عنهم فاذا لقيت اولئك
يعني القدرية فاخبرهم اني بريء منهم وانهم براء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر
لو ان لاحدهم مثل احد ذهبا فانفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر قال النووي
هذا الذي قاله ابن عمر رضي الله عنهما ظاهر في تكفير القدرية قال القاضي عياض هذا
في القدرية الاولى الذين نفوا تقدم علم الله تعالى بالكائنات قال والقائل بهذا كافر
بلا خلاف وهؤلاء الذين ينكرون القدر بهذا المعنى هم الفلاسفة في الحقيقة انتهى
وفي تعبيره(?) الخلاف اجمال ففي كلام بعض المتأخرين ما نصه واعلم ان الايمان بالقدر
على قسمين احدهما الايمان بانه تعالى سبق في علمه ما يفعله العباد من خير وشر
وما يجازون عليه وانه كتب ذلك عنده واحصاه وان اعمال العباد تجري على ما سبق
في علمه وكتابه ثانيهما انه تعالى خلق افعال عباده كلها من خير وشر وكفر وايمان
وهذا القسم ينكره القدرية كلهم والاول لا ينكره الا غلاتهم وكفرهم بانكاره كثيرون
ومحل الخلاف حيث لم ينكروا العلم القديم والا كفروا كما نص عليه الشافعي واحمد وغيرهما
انتهى واما تكفير القدرية المتأخرة وعدم تكفيرهم فتقدم في مباحث خلق الافعال
ما يتعلق به وانما نبهت على هذا لان ابن ناجي اطلق قوله الايمان بالقدر
واجب لا يصح الايمان بدونه الثاني حكى ابو محمد بن قتيبة في كتابه غريب
الحديث وابو المعالي امام الحرمين في كتابه الارشاد في اصول الدين ان بعض القدرية حمل
هذه الاحاديث على ان المراد منها اهل السنة وقال لسنا بقدرية بل انتم القدرية
لاعتقادكم اثبات القدر من الخير والشر بتقدير الله ومشيئته لان الشيء نسبة
الشخص الى ما يثبته ويقول به كالجبرية والحنفية وان نسبته لا الى ما ينفيه قال ابن
قتيبة والامام وهذا تمويه من هؤلاء الجهلة ومباهتة وتواقح فان اهل الحق يفوضون
امورهم الى الله سبحانه ويضيفون القدر والافعال الى الله تعالى وهؤلاء الجهلة يضيفونه
الى انفسهم ومدعي الشيء لنفسه ومضيفه اليها اولى بان ينسب اليه ممن يعتقده
لغيره وينفيه عن نفسه قال الامام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم القدرية مجوس
هذه الامة شبههم بهم لتقسيمهم الخير والشر في حكم الارادة كما قسمت المجوس فصرفت
باضافة الخير الى يزدان والشر الى اهرمن ولا خفاء باختصاص هذا الحديث بالقدرية
قال السعد ولا خفاء ان من لا يفوض الامور كلها الى الله تعالى ويعترض لبعضها
فينسبه الى نفسه يكون هو الخصم لله تعالى وقد قيل ان القدرية تقوم عند ما يبادي
المنادي اين خصماء الله والحق انهم سموا بذلك لما مر ولما اعتقدوا في نفي كون الخير والشر
كله بتقدير الله ومشيئته وكثرة مدافعتهم اياه وقيل لانهم اثبتوا للعبد قدرة الايجاد وليس
بشيء لان المناسب حينئذ القدرية بضم القاف لا فتحها والقائلون … على الغنم(?)
ودعوى انه من تغييرات النسب غير مسموعة لعدم اطرادها لا سيما في الحديث

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)